

مجلة أنثروبولوجية الأديان العدد 16 العدد 01 بتاريخ 15 جانفي 2020م

ISSN/2353-0197 EISSN/2676-2102

العلاقة بين العمل والإيمان

دراسة مقارنة بين اليهودية والمسيحية والإسلام

the relationship between faith and work

A comparative study between Judaism, Christianity and Islam

د. تامر محمد محمود متولي¹

Tamer Mohamed Mahmoud Metwaly

جامعة حائل

tamer_mot@yahoo.com

University of Hail

تاريخ القبول: 2019/10/07م

تاريخ الارسال: 2019/07/27م

ملخص:

هذا العمل يبحث مسألة من أهم المسائل التي حدث فيها الخلاف بين الأديان بشكل عام، وفي كل دين منها بشكل خاص. تتعلق المسألة بقضية العلاقة بين الإيمان والعمل، وبما ينجم به الإنسان في الآخرة وهو المقصد الأساس لجميع الأديان، وهل العمل -أوليس- شرط أو شرط لذلك؟ تبين الباحث أن العمل في الإسلام يتحدد بين كونه شرطاً (جزئاً) وبين كونه شرطاً. وتتفق اليهودية مع الإسلام في ذلك. أما المسيحية فلها نسختان، النسخة الأصلية، أي المسيحية اليهودية، والنسخة البولسية. بينما في الأولى نرى العمل بالناموس والوصايا واجباً، ترى المسيحية الأخرى أن العمل بالناموس لا فائدة فيه وقد خلص المسيح الناس بدمه هو لا بدم الثيران والتبوس!

كلمات مفتاحية: مقارنة الأديان؛ الإسلام؛ المسيحية؛ اليهودية؛ الإيمان؛ العمل

¹ المؤلف المرسل، د. تامر محمد محمود متولي، tamer_mot@yahoo.com

Abstract:

This work examines one of the most important issues in which the difference between religions in general, and in each religion in particular. The issue related to the issue of the relationship between faith and work, and what man survives in the Hereafter, which is the basic purpose of all religions. The researcher found that work in Islam is hesitant between being a part (part) and being a condition. Judaism agrees with Islam in this. Christianity has two versions, the original version, that is, Jewish Christianity and the Polish version. While in the first we see the work of the Law and the commandments as a duty, the other Christianity sees that the work of the Law is useless, and Christ has made people by His blood, not by the blood of bulls and sheeps!

Keywords: Religions; Islam; Christianity; Judaism; faith

مقدمة:

علاقة الإيمان بالعمل من القضايا الدينية الكبرى؛ فهي محل بحث ونقاش في كل دين، فهي قضية إنسانية؛ مثلها في ذلك مثل قضية القدر وحرية الاختيار، لأن الإنسان؛ أياً كان دينه؛ يبحث عن طريق السعادة والنجاة والخلاص، وهل هذا الطريق هو الأعمال الصالحة أو يكفي مجرد الإيمان وسلمة القلب؟ كذلك هل الأفعال السيئة التي يقتربها الإنسان ستكون عائقاً أما نجاته أم أن الإيمان يجب ذلك؟ هذه الأسئلة هي أسئلة إنسانية يسألها الناس في كل زمان ومكان وكل دين ومذهب. والجواب على هذه الأسئلة لم يكن واحداً بالطبع، فالاختلاف أيضاً قضية إنسانية لا مفر منها، ولذلك تنوعت الإجابة على هذا السؤال حتى في الدين الواحد. وهدفي في هذا البحث ليس حل المشكلة؛ التي ربما ليس لها حل، لقد كتبت عشرات المؤلفات لهذا الغرض، في كل دين، لكنني أعرض هنا هذا النقاش حول هذا الموضوع مقارناً بين الأديان؛ كمثال على قضية أساسية حدث فيها خلاف في كل دين، وكيف حاول كل دين الإجابة على أسئلة الناس عنها. هذا العمل يبحث مسألة من أهم المسائل التي حدث فيها الخلاف بين الأديان بشكل عام،

وفي كل دين منها بشكل خاص. تتعلق المسألة بقضية العلاقة بين الإيمان والعمل، وما ينجو به الإنسان في الآخرة وهو المقصد الأساس لجميع الأديان، وهل العمل -أوليس- شرط أو شرط لذلك؟ ومحاولة الأديان الإجابة على أسئلة الناس.

مشكلة البحث:

مشكلة هذا البحث هي معرفة موقف الأديان الثلاثة من العلاقة بين الإيمان والعمل، وهل العمل مع الإيمان شرط للنجاة في الآخرة، أو هل البر والخلاص بالإيمان فقط؟؟ أم بالأعمال فقط؟؟ أم بالإيمان والأعمال؟؟ وما العلاقة بين هذه الثلاثة؟ هل اختلف مفهوم الخلاص والبر أمام الله في العهد الجديد عنه في العهد القديم؟؟ ما اختلاف بر العهد القديم عن بر العهد الجديد؟؟

المصطلحات: الإيمان- البر - الإرجاء

الأديان الثلاثة تستخدم غالباً مصطلحات متطابقة حول القضايا الدينية مثل مصطلح الإيمان والبر، وقد يتميز دين منها بإحداث اصطلاح خاص يعبر عن القضية أو جزء منها؛ مثل اصطلاح الإرجاء عند المسلمين، والذي تطور عبر مراحل واستخدم في عدة خلاقات، كما يقول (الحوالي، 1999، ص164) ومثل مصطلح الخلاص في المسيحية المعبر به عن سبب النجاة في الآخرة. هكذا فبينما الإيمان والبر والعمل الصالح هي مصطلحات مشتركة تدل في الأديان الثلاثة على أجزاء أو فصول الموضوع، توجد اصطلاحات حادثة لكنها التصقت بالموضوع ولا يمكننا الفكك منها عند مناقشته لأسباب السياقية والتفسيرية، وبينما كان يجب علينا وعلى الجميع استعمال المصطلحات التي وردت في الكتب المقدسة، إلا أنني مضطر للتعامل مع مصطلحات أخرى نشأت خارج هذه الكتب ولكنها التصقت بالموضوع.

البر : اصطلاح مشترك بين الأديان الثلاثة، وله؛ بحسب النصوص، مفهوم واحد، هو يجمع بين الإيمان والعمل، وجزء البر أو التبرير أو البار؛ الذي عمل بالبر، أيضاً بالوقوف عند دلالات النص، دخول الجنة أو ملكوت السماوات. لكن النصوص وحدها لم تكن كافية لتقرير هذه المعاني، لأن النصوص تختلف بحسب الفهم، والنصوص (المفهومة) غير النصوص (غير المفهومة).

البر: في القرآن:

يظهر تأكيد القرآن الكريم على التعريف بالبر، ونفي ما يلتبس به من المعاني في الأذهان بشكل جلي في قوله سبحانه: (لَيْسَ الْبِرُّ أَنْ تُولُؤُوا وُجُوهَكُمْ قَبْلَ الْمَشْرِقِ وَالْمَغْرِبِ وَلَكِنَّ الْبِرَّ مَنْ آمَنَ بِاللَّهِ وَالْيَوْمِ الْآخِرِ وَالْمَلَائِكَةِ وَالْكِتَابِ وَالنَّبِيِّينَ وَآتَى الْمَالَ عَلَى حُبِّهِ ذَوِي الْقُرْبَى وَالْيَتَامَى وَالْمَسَاكِينَ وَابْنَ السَّبِيلِ وَالسَّائِلِينَ وَفِي الرِّقَابِ وَأَقَامَ الصَّلَاةَ وَآتَى الزَّكَاةَ وَالْمُوفُونَ بِعَهْدِهِمْ إِذَا عَاهَدُوا وَالصَّابِرِينَ فِي الْبَأْسَاءِ وَالضَّرَاءِ وَحِينَ الْبَأْسِ أُولَئِكَ الَّذِينَ صَدَقُوا وَأُولَئِكَ هُمُ الْمُتَّقُونَ) [البقرة 177] وقوله: (وَلَيْسَ الْبِرُّ بِأَنْ تَأْتُوا الْبُيُوتَ مِنْ ظُهُورِهَا وَلَكِنَّ الْبِرَّ مَنْ اتَّقَى وَآتَى الْبُيُوتَ مِنْ أَبْوَابِهَا وَاتَّقُوا اللَّهَ لَعَلَّكُمْ تُفْلِحُونَ) [البقرة 188]. ومصير الأبرار هو الجنة وما فيها من نعيم في آيات منها: (لَكِنَّ الَّذِينَ اتَّقَوْا رَبَّهُمْ هُمْ جَنَّاتٌ تَجْرِي مِنْ تَحْتِهَا الْأَنْهَارُ خَالِدِينَ فِيهَا نُزُلًا مِنْ عِنْدِ اللَّهِ وَمَا عِنْدَ اللَّهِ خَيْرٌ لِلْأَبْرَارِ) [آل عمران 198] وقوله: (إِنَّ الْأَبْرَارَ يَشْرَبُونَ مِنْ كَأْسٍ كَانَ مِزَاجُهَا كَافُورًا عَيْنًا يَشْرَبُ بِهَا عِبَادُ اللَّهِ [سورة الإنسان: 5]

ويستفاد من هذه النصوص أن البر اسم يشمل الاعتقاد والعمل معاً، أي إيمان وتقوى وقسط وصلاح وإصلاح ووفاء بالنذر وإحسان إلى الوالدين وأداء للعبادات.

البر في اليهودية:

يشرح (المسكين، 2011، ص14) معنى البر في اليهودية بأنه هو العمل بالشرعية فالبر هو السلوك المطابق للشرعية مستوجبا الأجر والخيرات الوفيرة. ويعني البرّ: "الحفظ الكامل للوصايا الإلهية، أي السلوك المطابق للشرعية. كما في (تثنية 24: 13، راجع 6: 24-25) وهذا ما نشاهده في عدد كبير من الأمثال (أمثال 11: 4-6 و19، 12: 28). وفي روايات متنوعة (تكوين 18: 17-19) وفي نبوة حزقيال (حزقيال 3: 16-21، 18: 5-24). وكلمة "بر" تنطبق أيضاً على كل عمل، فالتصرف بحلم وأناة يعتبر براً عند الله بمعنى أنه يستوجب أجراً. والبار هو الشخص النقي، أو الصالح؛ حبيب الله (أمثال 12: 10، تكوين 7: 1، 18: 23-32، حزقيال 18: 5-26). ويظهر هذا المفهوم للبرّ بوضوح في أسفار المراثي (مزمو 18: 21 و25، 119: 121)، وفي الأناشيد (مزمو 15: 1-2، 24: 3-4، 140: 14)."

البر في المسيحية:

لم يختلف مفهوم البر في المسيحية عنه في اليهودية باعتبار المسيحية هي امتداد وتكميل لدعوة موسى، فالمسيحية اليهودية (اصطلاح أشير به إلى نسخة المسيحية اليهودية المتمسكة بـشرعية العهد القديم وقيمه) تسير على درب اليهودية في ذلك وهو ما يظهر من النصوص التي سوف أقتبسها بعد قليل من كلام المسيح وتلاميذه وحتى القديس بولس نفسه. ولكن نجد مفهوما آخر للبر في المسيحية البولسية، (اصطلاح أشير به إلى النسخة المسيحية المخالفة لليهودية ولكل الأديان، التي أسسها القديس بولس) أو اتجاهاً جديداً يحمل نظرة أخرى ويعطي للبر معنى جديداً، وقيمة دينية مختلفة. يشرحه الأب (المسكين، 2011، ص 22

(فالبر فيها ينسب إلى الله، والاستقامة البشرية ليست سوى انعكاس وثمره لبرّ الله الأسمى وللركة العجيبة التي يقود الله بها المسكونة، ويغفر بها لمخلوقاته. وبرّ الله هذا يمكن أن يدركه الإنسان بالإيمان، فقط بالإيمان، وفقط بقضية واحدة، يتطابق في النهاية مع رحمته تعالى، ويظهر تارة صفة موجودة في الله ويعبر تارة أخرى عن مواهبه الفعلية التي يقدمها لخلاص الناس. وهذا معنى الجديد للبر نجده بوضوح في رسالة بولس إلى أهل رومية 3: 25. البر الذي كشفه الله في يسوع المسيح هو تماماً بره الخلاصي بمجرد الإيمان. هذا المعنى الجديد لا يشتق من نصوص الكتاب المقدس نفسه، أعني نصوص الأنبياء، ولا التلاميذ، بل من كلمات ووحى وتعليم القديس بولس الذي يقول صراحة أن البر، بحسب الشريعة، باطل وعديم الجدوى. وهو نقطة التحول العمى التي فصلت المسيحية كدين جديد وغريب عن دين العهد القديم.

الإيمان:

الإيمان من المصطلحات المشتركة بين الأديان. بالنسبة لتعريف "الإيمان" في الإسلام فإن المعاجم اللغوية تقول: "إنه التصديق" (الأزهري، 1389هـ ، 15 / 513، 514) و (الرازي: 199، ص: 11) ولكن يقول آخرون (آبادي، 2005، 4 / 199) و(ابن منظور، 1414 ، 21/54) و(ابن فارس، 1979 ، 1 / 133) أن التصديق لا يتطابق مع لفظ الإيمان وليس كل تصديق إيمان، أي يوجد فرق بين التصديق والإيمان. ومن الفروق بين "آمن" و "صدق" أن الأول مثلاً يتعدى بالحرف، إما بالباء وإما باللام، كما قال تعالى: {فآمن له لوط} [سورة العنكبوت : الآية (26)] ، وكما قال: {آمن الرسول بما أنزل إليه من ربه} [سورة البقرة: الآية (285)]. أما "صدق" فإنه يصح تعديته بنفسه فيقال: صدقه.

الإيمان في التوراة:

لم ترد كلمة "آمن" في العهد القديم إلا مرّات قليلة (إشعيا 28 : 17 ودانيال 6 : 24 سيراخ 11 : 23) إلا أن معناها يفهم ضمناً في عبارات متنوعة مثل قوله: "التفتوا إلى الرب" (اش 45: 22) و(انتظر الرب) (مز 27: 14) و"المتكلمين عليه" (نا 1: 7).

أما العمل فمراراً وتكراراً يذكر الكتاب أولئك الذين يعملون الخير أو الشر في عيني الرب. "فأجازيهم حسب أعمالهم و حسب عمل اياديهم" * 15 لأنه هكذا قال لي الرب اله إسرائيل " [ارميا 25 : 5]

الإيمان في العهد الجديد

وردت مراراً وتكراراً كلمة "الإيمان" في الكتاب المقدس المسيحي (العهد الجديد) ويعتبر إبراهيم "أباً للمؤمنين" لأن جلّ اعتماده كان على الله (رو 4: 11).

وقد اتخذ الرسول بولس موضوع رسالته إلى رومية من آية في سفر حبقوق "أما البار فبالإيمان يحيا" (رو 1: 17 وحب 2: 4) ونجد في عب ص 11 مثلاً مفصلاً تفصيلاً تاماً عن إيمان الأبطال الاقدمين.

الإيمان عند القديس بولس:

الإيمان عند القديس بولس هو قبول الهبة والثقة فيما نرجوه من الله من عطايا النعمة، والاعتراف بأن الرب يبذله نفسه عنا قد دفع ثمن غفران خطايانا. فليس الإيمان نوع من الفضل مقابل نوال الخلاص. فالإيمان في ذاته هو عطية الله وهبة الروح القدس (رو 12: 3؛ غل 5: 22؛ في 1: 29). فليس إيماننا هو الذي يخلصنا، بل المسيح. ولكننا ننال بالإيمان تأكيد تبريرنا الذي يأتي من الله. فموت المسيح هو العنصر المؤسّس للإيمان. إذا آمنا أنّه مات لأجلنا، تبرّزنا حقاً. واجتمعنا به في موته وقيامته.

فدور الإيمان في عملية التبرير كما يقول (أنس، بدون تاريخ، ص 30) "الإيمان مجرد واسطة نال بها التبرير، لأنه قبول المسيح والاتكال عليه. وليس هو سبب التبرير أو علته إلا بهذا المعنى. ويقول الكتاب إننا نتبرر بالإيمان أي بواسطته، وينسب تبريرنا دائماً إلى نوالنا فوائد عمل المسيح بالإيمان. فليس لإيماننا استحقاق في حد ذاته بل هو شرط نوالنا استحقاق المسيح. وتتضح صحة ذلك من أن الإيمان ليس منا لفتخر به أو ليحسب لنا من باب الاستحقاق بل هو هبة الله (أف 2: 8 وفي 1: 29). والإيمان من ثمر الروح، فلا يُبنى عليه استحقاق (غل 5: 22). وموضوعه المسيح وكفارته، ولذلك يُرفض كل اتكال على غير المسيح. ولا يُحسب وجوده فينا فضيلة تستحق الثواب بل يُنسب كل الفضل إلى ذبيحة المسيح ودمه (رو 3: 25، 26 و 4: 20، 22 وغل 3: 26 وأف 1: 12، 13 و 1 يو 5: 10).

الإرجاء

الإرجاء اصطلاح إسلامي تطور من وقت لآخر (الحوالي، 1999، ص 164) وفهو في اللغة العربية: التأخير، قال تعالى: (قَالُوا أَرْجِهْ وَأَخَاهُ) [الأعراف: 111]. أي أمهله وأخره. والإرجاء مصطلح يشير إلى المرجئة: وهو وصف أطلق على كل من آخر العمل عن الإيمان ولم يدخله في مسماه. وكلمة المرجئة مشتقة من الإرجاء وهو على معنيين:

المعنى الأول: الإرجاء بمعنى التأخير.

المعنى الثاني: الإرجاء بمعنى إعطاء الرجاء.

ويصدق هذا الوصف على المرجئة بكلا المعنيين، لأنهم أخرجوا العمل عن الإيمان، كما أنهم يعطون الرجاء للفاسق، وفي هذا الأخير يتفق من لم يكن غالبا منهم مع السلف الذين يقولون إن الفاسق تحت المشيئة كما سنبين. وسأستعمل هذا المصطلح لوصف كل من يفرق بين العمل والإيمان في أي دين.

العلاقة بين الايمان والعمل في اليهودية

البر في اليهودية هو الإيمان والعمل معاً، وترشد النصوص اليهودية على ضرورة الجمع بين الأمرين، فالعمل والإيمان هو البر. والبر لا يكون براً إلا بهما، الإيمان والعمل. وعلى ضوء ذلك يمكن تفسير المقطع الشهير في سفر التكوين: "فآمن (إبراهيم) بالرب فحسب له ذلك براً" (تكوين 15: 6). ومع ذلك يقول سفر التثنية: "لا تقل في نفسك... لأجل بري، أدخلني الرب لأملك هذه الأرض" (تثنية 9: 4-6). والبر والخلاص في العهد القديم إنما يكون بالإيمان والأعمال، أي أعمال الشريعة أو الناموس:

24 فَأَمَرَنَا الرَّبُّ أَنْ نُمَارِسَ جَمِيعَ هَذِهِ الْفَرَائِضِ وَنَتَّقِيَهُ لِنَزْدَهَرَ دَائِمًا وَنَظَلَّ أَحْيَاءَ كَمَا فِي هَذَا الْيَوْمِ. 25 وَإِذَا أَطَعْنَا جَمِيعَ هَذِهِ الْوَصَايَا بِحِرْصٍ لِنُمَارِسَهَا أَمَامَ الرَّبِّ إِهْنَأَ كَمَا أَمَرْنَا، يَكُونُ لَنَا بَرٌّ.

في هذا النص يظهر كما يقول (المسكين ، 2011 ص 10) أن البر هو باتباع الشريعة وأن البر أو الخلاص يكون بالعمل بها. فلكي يصير الإنسان متقربا من الله بالأعمال يعمل بالوصايا، ويؤيده ما جاء في سفر التثنية: " ملعون من لا يقيم كلمات هذا الناموس ليعمل بها " (التثنية 26/27).

وبشهادة العهد الجديد وتلاميذ المسيح؛ وبالتحديد يعقوب أخوه، فإن "إبراهيم تبرر بالإيمان والأعمال معاً، كما جاء في رسالة يعقوب: " ألم يتبرر إبراهيم أبونا بالأعمال إذ قدم اسحاق ابنه على المذبح * 22 فترى أن الإيمان عمل مع أعماله وبالأعمال أكمل الإيمان * 23 وتم الكتاب القائل فامن إبراهيم بالله فحسب له براً ودعي خليل الله * 24 ترون إذاً انه بالأعمال يتبرر الانسان لا بالإيمان وحده" هنا العلاقة بين الإيمان والأعمال واضحة؛ إن الأعمال تكمل الإيمان وبهما-الأعمال والإيمان- يتبرر الإنسان، لا بالإيمان وحده.

الإيمان والأعمال في المسيحية

العمل بالوصايا للوصول إلى البر والنجاة هو فتوى المسيح نفسه، تصديقاً للتوراة، فنقرأ في الإنجيل إقرار المسيح للناموس ووظيفته من خلال قصة شاب غني طرح سؤالاً مصيرياً على المسيح:

"أَيُّهَا الْمُعَلِّمُ الصَّالِحُ أَيُّ صَلاَحٍ أَعْمَلُ لَتَكُونُ لِي الْحَيَاةَ الْأَبَدِيَّةُ؟" في جوابه على هذا السؤال المهم جداً، قال له الرب يسوع: "إِنْ أَرَدْتَ أَنْ تَدْخُلَ الْحَيَاةَ فَاحْفَظِ الْوَصَايَا. قَالَ لَهُ: أَيُّهُ الْوَصَايَا؟ فَقَالَ يَسُوعُ: «لَا تَقْتُلْ. لَا تَزْنِ. لَا تَسْرِقْ. لَا تَشْهَدْ بِالزُّورِ. أَكْرِمْ أَبَاكَ وَأُمَّكَ وَأَحِبَّ قَرِينَكَ كَنَفْسِكَ. (متى 19:16-19).

إن العهد الجديد لا يمكن أن يغير الشريعة أو الناموس أو التوراة، يقول العهد الجديد في شأن الناموس وتعظيمه قال المسيح: " زوال السماء والأرض أيسر من أن تسقط نقطة واحدة من الناموس " (لوقا 17/16). ويقول: " لا تظنوا أنني جئت لأنقض الناموس أو الأنبياء، ما جئت لأنقض، بل لأكمل، فإنني الحق أقول لكم: إلى أن تزول السماء والأرض لا يزول حرف واحد، أو نقطة واحدة من الناموس حتى يكون الكل، فمن نقض إحدى هذه الوصايا الصغرى، وعلم الناس هكذا يدعى: أصغر في ملكوت السماوات فاني أقول لكم انكم ان لم يزد بركم على الكتب والفريسيين لن تدخلوا ملكوت السماوات * " (متى 17/5 - 20). فالؤمن التقيّ يقدر أن يصل إلى هذا البرّ، برّ الشريعة: "احفظوا فرائضي وأحكامي،

فمن عمل بها يحيا، أنا الرب" (لا 18: 5؛ رو 10 : 5؛ غل 3 : 12). هذا يعني أنّ المؤمن ينال ببر الله وخلاصه بطاعته لوصايا الله.

فلم يطلب منه المسيح الإيمان فقط، بل طالبه بالعمل بما جاء في وصايا موسى عليه السلام (انظر الخروج 1/20 - 7). وفي مرة أخرى قال لهم المسيح: " فإني أقول لكم: إن لم يزد بركم على الكتبة والفريسيين، فلن تدخلوا ملكوت السماوات (متى 20/5). أي لا جنة لكم حتى تكونوا أفضل من اليهود. وكيف تكونون أفضل من اليهود، وأنتم لا تتبعون الناموس والوصايا؟ .

وفي موضع آخر ينبه إلى أهمية الكلام وخطره، فيقول: " أقول لكم: إن كل كلمة بطلاة يتكلم بها الناس سوف يعطون عنها حساباً يوم الدين، لأنك بكلامك تتبرر، وبكلامك تدان" (متى 13/36-37). وأكد المسيح على أهمية العمل الصالح والبر، فقال للتلاميذ: " ليس كل من يقول: لي يا رب يا رب، يدخل ملكوت السماوات. بل الذي يفعل إرادة أبي الذي في السماوات، كثيرون سيقولون لي في ذلك اليوم: يا رب يا رب، أليس باسمك تنبأنا وباسمك أخرجنا شياطين وباسمك صنعنا قوات كثيرة، فحينئذ أصرح لهم: إني لم أعرفكم قط. اذهبوا عني يا فاعلي الإثم" (متى 20/7-21). وضرب بعده لتلاميذه مثلاً بين فيه حال العامل بالناموس فقال لهم: " لماذا تدعونني يا رب يا رب. وأنتم لا تفعلون ما أقوله، كل من يأتي إلي، ويسمع كلامي، ويعمل به، أريكم من يشبه؟ يشبه إنساناً بنى بيتاً وحفر وعمق، ووضع الأساس على الصخر، فلما حدث سيل صدم النهر ذلك البيت، فلم يقدر أن يزعرعه لأنه كان مؤسساً على الصخر. وأما الذي يسمع ولا يعمل فيشبه إنساناً بنى بيته على الأرض ومن دون أساس، فصدمه النهر حالاً، وكان خراب ذلك البيت عظيماً ". (لوقا 6/46-49).

ورسائل التلاميذ تدل أيضاً على ها المعنى كما جاء في رسالة يعقوب " ما المنفعة يا إخوتي إن قال أحد: إنّ له إيماناً، ولكن ليس له أعمال. هل يقدر الإيمان أن يخلصه؟ " الإيمان أيضاً إن لم يكن له أعمال ميت في ذاته. الإيمان بدون أعمال ميت " (يعقوب 2/14 - 20). في رسالة يعقوب أيضاً " ما المنفعة يا إخوتي إن قال أحد: إنّ له إيماناً، ولكن ليس له أعمال. هل يقدر الإيمان أن يخلصه؟ " الإيمان أيضاً إن لم يكن له أعمال ميت في ذاته. الإيمان بدون أعمال ميت " (يعقوب 2/14 - 20). ويقول: " كونوا عاملين بالكلمة، لا سامعين فقط خادعين نفوسكم " (يعقوب 22/1)، ويقول (يعقوب 27/1): " الديانة الطاهرة النقية عند الله الآب هي هذه: افتقاد اليتامى والأرامل في ضيقتهم، وحفظ الإنسان نفسه بلا دنس

من العالم". كذلك كان بطرس -رئيس الحوارين وراعي الكنيسة بعد المسيح حسب التعليم الكاثوليكي- والذي كان يمارس مثل باقي التلاميذ المسيحية اليهودية، وافق رأيه قول يعقوب في وجوب العمل مع الإيمان، وقد خالف بولس بطرس في هذه المسألة وحدث بينهما جدال يروي بولس نفسه في الرسالة إلى غلاطية (غلاطية 2: 21) حاكياً الخلاف بينه وبين بطرس وبقية الحوارين والفرق بين انجليه الذي يبشر به سراً وبين انجيل بطرس: 16 إذ نعلم أن الانسان لا يتبرر بأعمال الناموس بل بإيمان يسوع المسيح آمنا نحن ايضا يسوع المسيح لتبرر بإيمان يسوع لا بأعمال الناموس لأنه بأعمال الناموس لا يتبرر جسد ما "17 فإن كنا و نحن طالبون أن نتبرر في المسيح نوجد نحن أنفسنا أيضا خطاة أفل المسيح خادم للخطية؟ حاشا 18 فإني إن كنت أبني أيضا هذا الذي قد هدمته فإني أظهر نفسي متعددا 19 لأنني مت بالناموس للناموس لأحيا لله* 20 مع المسيح صلبت فأحيا لا أنا بل المسيح يحيا في فما أحياه الآن في الجسد فإنما أحياه في الايمان إيمان ابن الله الذي أحبني و أسلم نفسه لأجلي* 21 لست أبطل نعمة الله لأنه إن كان بالناموس بر فالمسيح إذا مات بلا سبب" ومرة أخرى أشير إلى هذا التحول والانفصال بين اليهودية -دين المسيح- والمسيحية الدين الجديد.

الإيمان والعمل عند القديس بولس:

مر القديس بولس بمرحلتين، في المرحلة الأولى وافق ببقية الرسل في العلاقة بين العمل والإيمان، في نسخته الأولى القديس يرى بولس نفسه وجوب العمل، وأكد على أهمية العمل الصالح في مناسبات مختلفة منها قوله: " إن الذي يزرعه الإنسان إياه يحصد أيضاً... فلا تفشل في عمل الخير لأننا سنحصده في وقته (غلاطية 7/6). ويعترف بوضوح بالشرعية والعمل ويقول أن البر هو بالعمل بالناموس: " بل الذين يعملون بالناموس هم يبررون " (رومية 13/2).

ومنها قوله: " ليس الختان شيئاً وليس الغرلة شيئاً، بل حفظ وصايا الله " (1كورنثوس 19/7). وفي رسالته لتيموثاوس يقول بولس: " أوصي الأغنياء... وأن يصنعوا صلاحاً، وأن يكونوا أغنياء في أعمال صالحة وأن يكونوا أسخياء في العطاء، كرماء في التوزيع، مدخرين لأنفسهم أساساً حسناً للمستقبل، لكي يمسكوا بالحياة الأبدية " (تيموثاوس 1) (17/6 -19). ويقول: "كل واحد سيأخذ أجرته حسب تعب" (كور 1) (8/3).

وكان رأى القديس بولس هذا -وجوب العمل مع الإيمان هو البر- هو ما تشير إليه النصوص نفسها كما رأينا في العهدين-وهو يوافق الشريعة اليهودية ونصوص المسيح وآراء تلاميذ المسيح بما فيهم أخوه يعقوب.

الإرجاء عند بولس

إلا أن القديس بولس لاحقاً تحول إلى الرأي الثاني الذي يخالف قوله الأول، في هذا الرأي العمل لا قيمة له، ولا ينجو الإنسان بالعمل بالناموس أو الشريعة، ولا يمكن أن يكفر الإنسان عن خطايه بإقامة دم الثيران والطيوس. على الأرجح تغير رأي القديس بولس متأخراً بعد صعود المسيح وموت جميع تلاميذه، بما فيهم يعقوب.

وفقاً لهذا القول البر الذي يدركه الإنسان بالإيمان، فقط بالإيمان، وفقط الإيمان بقضية واحدة، من أجل الخلاص، الذي حصل فعلاً ومجاناً، بسفك دم المسيح على الصليب، وهذا الذي لا يعرف بولس غيره، أعني المسيح وإياه مصلوباً (الرسالة الأولى لكورنثوس، 2 : 3) وفي رسالته إلى أهل رومة 3: 25 " الذي قدمه الله كفارة بالإيمان بدمه لإظهار بره من أجل الصفح عن الخطايا السالفة بإمهال الله* 26 لإظهار بره في الزمان الحاضر ليكون باراً و يبرر من هو من الإيمان بيسوع* 27 فأين الافتخار قد انتفى بأي ناموس بناموس الاعمال؟ كلا بل بناموس الإيمان* 28 إذا نحسب أن الانسان يتبرر بالإيمان بدون أعمال الناموس* 29 أم الله لليهود فقط أليس للأمم أيضاً بلى للأمم أيضاً* 30 لأن الله واحد هو الذي سيبرر الختان بالإيمان و الغرة بالإيمان* 31 أفنبطل الناموس بالإيمان حاشا بل نثبت الناموس)

فالبر الذي كشفه الله في يسوع المسيح هو بره الخلاصي بمجرد الإيمان بصلب المسيح دون العمل بالوصايا. هذا المعنى الجديد إذن لا يشتق من نصوص الكتاب المقدس، أعني نصوص الأنبياء، ولا حتى أتباع الأنبياء، بل من كلمات ووحى وتعليم القديس بولس، أو بالأحرى؛ بنصف أقواله فقط، تظهر أن البر بالأعمال، بحسب الشريعة، باطل وعديم الجدوى. وينبني مذهب بولس على الأسس التالية:

أ- أن واهب التبرير هو الله

فبحسب الرسالة إلى رومية «الله هو الذي يبرر» (رو 8 : 33) .. فالذي يُبرر المذنب هو الله.

ب- أساس التبرير: دم المسيح:

1- ولأن الشريعة فشلت في تبرير الناس من الذنب بذبح الأضاحي والقرايين، لغلبة الذنب: «الناموس لم يُكَمِّل شيئاً... لأنه لا يمكن أن دم ثيران وتيوس يرفع خطايا» (عب 7: 19؛ 10: 4). وهكذا اضطر فشل الناموس القديس بولس إلى البحث عن البر والخلاص بدم المسيح بدلاً عن دم الثيران والتيوس.

2- سبب البر:

سبب البر والخلاص هو دم المسيح، فبحسب الرسالة إلى رومية (رو 5: 9) «ونحن متبررون الآن بدمه [دم المسيح] نخلص به من الغضب».. فالله يبرر الخاطئ الذي آمن دون أن يكون قد تجاوز عدله الكامل في شيء لأنه يبرره علي أساس الدم الذي سُفِكَ علي الصليب .. يري الله هذا الدم الذي يعلن أن المسيح مات متحملاً بالكامل ما يستحقه الخاطئ من عقاب، فيبرره ولا يُحسب له خطية.

3- التبرير نعمة مجانية:

البر والخلاص عند بولس مجاناً «متبررين مجاناً بنعمته بالفداء الذي بيسوع المسيح» (رو 3: 24)، «أنا أُعطي العطشان من ينبوع ماء الحياة مجاناً» (رو 21: 6)، «وَمَنْ يُرِدْ فَيَأْخُذْ ماء حياة مجاناً» (رو 22: 17)

إبراهيم تبرر بالأعمال أو بالإيمان؟

حتى بر إبراهيم لم يكن بسبب الأعمال عند القديس بولس في نسخته الأخيرة، أي فيما كتبه في وقت لاحق ليعقوب في رسالته إلى رومية عام 57 ميلادية أي بعد نحو عشر سنوات من كتابة رسالة يعقوب (بين عامي 46 و 49 ميلادية) وبعد وفاة بطرس (بعد يولية سنة 64 في روما على عهد نيرون) وربما بعد وفاة جميع التلاميذ الذين لا تذكر وفياتهم في الكتاب المقدس وإنما تعرفه من التخمين التاريخي، بما يناقض ما ورد في رسالة يعقوب عن تبرير إبراهيم. فيرى أن إبراهيم تبرر بالإيمان فقط لا بالعمل، لكن يبقى السؤال: بأي إيمان تبرر إبراهيم؟ الإيمان بالفداء والخلاص المسيحي؟

يرى بولس أن إبراهيم رجل الله في العهد القديم، هو أول من عرف التبرير لأنه "آمن" بمواعيد الله (تكوين 15: 6؛ رومية 4: 3؛ غلاطية 3: 6؛ "آمن إبراهيم بكلام الله، فبرره الله لإيمانه"). وكما أن إبراهيم سبق في الزمن موسى، فقد سبق الإيمان أعمال الشريعة. في الرسالة إلى رومية يقطع بولس ويؤكد أن إبراهيم لم يتبرر أمام الله بسبب الأعمال. وفي كلمات محددة لا تترك مجالاً لأي لبس يقول بولس «لأنه بأعمال الناموس [بطاعة أوامر الله] كل ذي جسد [حتى لو كان إبراهيم] لا يتبرر أمامه» (رو 3: 20) ..

فإذا كان إبراهيم لم يتبرر أمام الله بأعماله، فماذا يكون المقصود من كلمات رسالة يعقوب القائلة: « ألم يتبرر إبراهيم أبونا بالأعمال إذ قدم إسحق ابنه علي المذبح » (يع 2 : 21) ثم تأتي رسالة رومية (رو 4) التي كتبت بعدها بسنوات فتقول إن إبراهيم تبرر أمام الله (صار باراً أمامه) بالإيمان وليس بالأعمال . أي ليس عندما قدّم إسحق ابنه للذبح في تكوين 22 بل قبل ذلك بنحو ثلاثين عاماً لا كما تقول رسالة يعقوب.

وأمام هذه الفقرة «مبررين مجاناً بنعمته» (رو 3: 24). فالله تعالى دبر مسألة الصليب وسفك دم المسيح كي يبرر الناس. فالصلب بإرادته لكي نتبرر نحن بلا سبب منا، برنا مجاناً. ليس لأننا أفضل من غيرنا بل لأننا قبلنا هذه النعمة الغنية ... فالتبرير بواسطة الإيمان.

فكما تبرر إبراهيم الذي يُعتبر أبو كل المؤمنين (غل 3 : 7) بالإيمان، وهكذا كل مذهب لا ينال التبرير بطريق آخر غير إيمانه القلبي. فالتبرير هو عطية الله الثمينة التي لا طريق لنوالها سوى بالإيمان القلبي بصلب المسيح «القلب يؤمن به للبر» (رو 10 : 10) ليس بسبب العمل بالشرعية.. «ليس لي برى الذى من الناموس [بطاعة الوصايا] بل الذى بإيمان المسيح البر الذى من الله بالإيمان» (في 3 : 9) .

الإيمان والعمل في الإسلام

وفي أربع وأربعين موضعاً ذكر فيها الإيمان في القرآن مقترناً بالعمل الصالح، منها مرة واحدة استبدل ﴿الَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ﴾ بـ ﴿الَّذِينَ صَبَرُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ﴾ [هود: 11] وبناءً عليه ذهب أغلب العلماء (الآجري: الشريعة (ص: 119) ط. الأولى، باكستان، ت: حامد الفقي، واللالكائي: شرح أصول اعتقاد أهل السنة (4/ 911). ط. دار طيبة، الثالثة، ت: أحمد سعد حمدان، وابن منده: الإيمان (1/ 341) ط. المجلس العلمي بالجامعة الإسلامية، ت: علي ناصر فقيهي، وابن أبي العز: شرح الطحاوية (ص: 332) ط. المكتب الإسلامي، التاسعة، ت: الألباني. والسفاري: لوامع الأنوار (1/ 246) ط. المنار، الأولى، سنة 1323هـ بمصر. وانظر: أيضاً: أبو بكر بن أبي شيبة: الإيمان (ص: 50) ط. المكتب الإسلامي، الثانية، 1403هـ، ت: الألباني، وأبو عبيد: الإيمان (ص: 19) ط. المكتب الإسلامي، الثانية، ت: الألباني. (إلى أن الإيمان بحسب التعريف، يدخل فيه العمل، شطراً له، وجزء من حقيقته وماهيته، فالإيمان قول وعمل، وليس اعتقاداً فقط. وقال آخرون بل الإيمان ليس داخلياً في الإيمان بحسب التعريف بل هو لازم له، فلا يدخل أحد الجنة بلا عمل، وهو ما يفهم من العطف المتكرر؛ واستدل بأن الله تعالى عطف العمل

على الإيمان في مواضع عديدة من القرآن قال تعالى: {وَبَشِّرِ الَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ} [البقرة:] وكقوله: {إِنَّ الَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ كَانَتْ لَهُمْ جَنَّاتُ الْفِرْدَوْسِ نُزُلًا} [الكهف: 107]، وهذا العطف يستلزم المغايرة. ويرى (ابن تيمية، 1995م، 184) أن الخلاف بين هذين القولين في هذه المسألة هو خلاف لفظي، فالقائلون بأن الإيمان تصديق وقول فقط والعمل لازم له، مُتَّفِقُونَ مَعَ جَمِيعِ عُلَمَاءِ السُّنَّةِ عَلَى أَنَّ أَصْحَابَ الذُّنُوبِ دَاخِلُونَ تَحْتَ الدِّمِّ وَالْوَعِيدِ وَإِنْ قَالُوا: إِنَّ إِيْمَانَهُمْ كَامِلٌ كإِيْمَانِ جِبْرِيلَ فَهُمْ يَقُولُونَ: إِنَّ إِيْمَانَهُمْ بِدُونِ الْعَمَلِ الْمَفْرُوضِ وَمَعَ فِعْلِ الْمُحَرَّمَاتِ يَكُونُ صَاحِبُهُ مُسْتَحِقًّا لِلدِّمِّ وَالْعِقَابِ كَمَا تَقُولُهُ الْجَمَاعَةُ. ومع ذلك زعم (الأشعري (1990)، أن العمل ليس جزءاً من الإيمان ولا لازماً له، وليس الإيمان الا التصديق، فمن (آمن) -صدق- فهو مؤمن كامل الإيمان، وإن زنى وإن سرق، فهو تحت مشيئة الله تعالى. وقال آخرون عقيدتهم في الإيمان أنه مجرد المعرفة، أي مجرد معرفة الرب بالقلب، فمن عرف ربه بقلبه فهو مؤمن، ولا يكون الكفر إلا إذا جهل ربه بقلبه.

أثر الإرجاء المسيحي في الإسلام:

في الرواية الإسلامية توجد الخطيئة لكنها ليست أزلية بل فورية وقعت وانتهت، وتوجد الكفارة لكن ليس بدم أحد بل بالتوبة وهو ما حدث فوراً دون تأخير أو (إرجاء): ﴿وَعَصَى آدَمُ رَبَّهُ فَغَوَى ثُمَّ اجْتَبَاهُ رَبُّهُ فَتَابَ عَلَيْهِ وَهَدَى﴾ [طه: 121-122] فما فلسفة الإرجاء في الإسلام؟ وهل للإرجاء المسيحي تأثير في ذلك؟ الإرجاء ليس بسبب فشل الناموس، بل بسبب فشل المرجئة في الاستدلال. تجمع فرق المرجئة تنفق في أصولها على مسائل هامة كتعريف الإيمان بأنه التصديق أو المعرفة بالقلب أو الإقرار. وأن العمل ليس داخلياً في حقيقة الإيمان، ولا هو جزء منه، لكنهم لا يغفلون منزلة العمل من الإيمان تماماً. وأن أصحاب المعاصي مؤمنون كاملاً بالإيمان بكمال تصديقهم وأنهم قد لا يدخلون النار في الآخرة. وقالوا بأن كل من آمن بوحداية الله لا يمكن الحكم عليه بالكفر، لأن الحكم عليه موكول إلى الله تعالى وحده يوم القيامة، مهما كانت الذنوب التي اقترفها. وهم يستندون في اعتقادهم إلى قوله تعالى (وَآخِرُونَ مُرْجُونَ لِأَمْرِ اللَّهِ إِنَّمَا يُعَذِّبُهُمْ وَإِنَّمَا يَثُوبُ عَلَيْهِمْ وَاللَّهُ عَلِيمٌ حَكِيمٌ) [التوبة: 106]. والعقيدة الأساسية عندهم عدم تكفير أي إنسان، أيا كان، ما دام قد اعتنق الإسلام ونطق بالشهادتين، مهما ارتكب من المعاصي، تاركين المبحث في أمره إلى الله تعالى وحده، لذلك كانوا يقولون: لا تضر مع الإيمان معصية، كما لا ينفع مع الكفر طاعة. في أكثر كتبهم يستدل المرجئة على أن العمل ليس من الإيمان بأنه قد جاء في القرآن، في مواضع كثيرة عطف على الإيمان

قالوا: والمعطوف غير المعطوف عليه، فهذا التغاير والتفريق دليل على ذلك. فدل ذلك على أن العمل ليس ركناً في الإيمان كما يقول أهل السنة والجماعة؛ إذ الركن لا يحتمل السقوط إلا بانتفاء الحقيقة، وهؤلاء حقيقة الإيمان ثابتة لهم.

خاتمة:

يتضح لنا من هذا البحث:

1. أن اليهودية والإسلام وغالب التيار الفكري المسيحي يرى العمل إما جزءاً من الإيمان أو لازماً له لا ينفك عنه ولا ينفع دونه.
2. هناك تيار ضعيف في الإسلام ومتأخر يخرج العمل عن كونه شرطاً أو حتى شرطاً في البر والإيمان.
3. هذا التيار قوي ومنتشر- في المسيحية يرفض الربط بين العمل والإيمان ويرى.
4. اعتنق بولس عقيدة “التبرير بالإيمان والأعمال” في ضوء خلفيته اليهودية، أولاً ولم ينكرها، ثم رجع عنها.
5. زاد بولس الإعلان المسيحي للبر في شخص الفادي -يسوع المسيح- والذي أتم كل بر من خلال الإيمان به وبصلبه، فمثل ناموس موسى في العهد القديم، فأصبح البر به مستحيلاً.
6. أن أساس “التبرير” المسيحي لا يتعلق بجهد الإنسان الأخلاقي ولا بفضائله الروحية، فقد قدمه الله مجاناً بنعمته، فالبر مقابل لا شيء وبدون ثمن ندفعه لأن المسيح دفع الثمن بالكامل بموته.

قائمة المراجع

- ابن تيمية، أحمد بن عبد الحليم. (1995م) الإيمان (ضمن مجموع الفتاوى) مجمع الملك فهد لطباعة المصحف الشريف، المدينة النبوية، المملكة العربية السعودية.
- ابن فارس، أحمد بن فارس بن زكريا أبو الحسين، 1979، معجم مقاييس اللغة، تحقيق عبد السلام محمد هارون، دار الفكر، بيروت.
- ابن منظور، محمد بن مكرم بن منظور الإفريقي المصري 1414، لسان العرب، ط. دار صادر بيروت.
- الأزهري، محمد بن أحمد 1389هـ، تهذيب اللغة، ط. شركة مطبعة البابي الحلبي، مصر، الثانية، ت: عبد السلام هارون.

مجلة أنثروبولوجية (الأوبان) المجلد 16 (العدد 01) بتاريخ 15 جانفي 2020م
ISSN/2353-0197 EISSN/2676-2102

- الأشعري، أبو الحسن (1990) مقالات الإسلاميين واختلاف المصلين (ت: محمد محيي الدين عب الحميد). المكتبة العصرية مصر.
- أنس، جيمس. (بدون تاريخ) علم اللاهوت النظامي. ترجمة: منيس عبد النور. الكنيسة الإنجيلية بقصر الدوبارة . القاهرة ومتاح على CD.
- باركلي، وليم. (1982) تفسير رسالة رومية. ترجمة: منيس عبد النور القاهرة: دار الثقافة.
- الباقلاني، محمد بن الطيب، (1987) تمهيد الأوائل في تلخيص الدلائل، تحقيق عماد الدين أحمد حيدر، مؤسسة الكتب الثقافية – لبنان، الأولى.
- بروس، ق. (1994) التفسير الحديث للكتاب المقدس الرسالة إلى رومية. ترجمة: نجيب إلياس. القاهرة: دار الثقافة،.
- جرودم، واين. (2009) لماذا يفكر الإنجيليون في أساسيات الإيمان المسيحي، القاهرة: مطبوعات إيجلز.
- الجويني، أبو المعالي (1950) الإرشاد إلى قواطع الأدلة في أصول الاعتقاد، تحقيق د. محمد يوسف موسى وعلي عبد المنعم عبد الحميد، مطبعة السعادة – مصر.
- الحوالي، سفر بن عبد الرحمن، 1999 ، ظاهرة الإرجاء في الفكر الإسلامي، طبعة جامعة أم القرى، دار الكلمة؛ السعودية.
- الرازي ، محمد بن أبي بكر بن عبد القادر ، 1995 مختار الصحاح؛ ط. مكتبة لبنان. بيروت.
- سمعان ، عوض، (بدون تاريخ) الإيمان والعمل، بدون بيانات.
- الشهري، عبد الله بن علي (2016) العمل وأثره في الإيمان عند النصارى. مجلة مجمع، [S.l.], n. 16, mar. 2016. ISSN 2231-9735
- العبد اللطيف، عبد العزيز، (2006=1427) " نواقض الإيمان القولية والفعلية: مدار الوطن، الثالثة، السعودية.
- فارس، فايز. أضواء على الإصلاح الإنجيلي. القاهرة: دار الثقافة، 1984.
- فيربروج، فيرلين. (2007) القاموس الموسوعي للعهد الجديد. القاهرة: دار الكلمة.
- الفيروز أبادي، ، مجد الدين أبو طاهر محمد بن يعقوب (2005) القاموس المحيط، ط. مؤسسة الرسالة للطباعة والنشر والتوزيع، بيروت – لبنان بيروت.

مجلة أنثروبولوجية اللّويمان المجلد 16 العدد 01 بتاريخ 15 جانفي 2020م
ISSN/2353-0197 EISSN/2676-2102

المسكين، الأب متى، (2011) التبرير بين الماضي والحاضر والإيمان والعمل، ط الرابعة ، مطبعة الأنبا
مقار، مصر.

النعمان، أبو حنيفة، (1999) الفقه الأكبر (مطبوع مع الشرح الميسر على الفقهاء الأيسر والأكبر)
مكتبة الفرقان - الإمارات العربية، الأولى.

الوهبي، محمد (2011) نواقض الإيمان الاعتقادية وضوابط التكفير عند السلف، دار المسلم، السعودية.
اليحياوي، ياسين، (2015) الخطيئة الأصلية في فكر أوغسطين، المجلة
الدراسات الدينية العدد الثاني جمادى الآخرة 1436 = ابريل 2015.